انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون
انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك
بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله تعالى
انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم
الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة
ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفران يحييهم
بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني
الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك
فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل
عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم
لا يعلمون لولا نزل عليه اية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد
والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تانيث اية غير حقيقي و
وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه
شيء من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او اية ان جحدوها
جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك
الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء
ثم الى ربهم يحشرون امم امثالكم مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها
كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في
الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب
والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء
فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله
وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال
وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما
من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير
بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة
قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير
بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت
فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ
لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين
ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرا ابن ابي

عبلة

عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة
ما فرطنا بالتخفيف والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله
يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم فان قلت كيف اتبعه قوله
والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه واثار قدرته ما يشهد
لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام
المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون
عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشا الله
يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف
ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان
كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون
ما تشركون ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك
تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق
الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة
من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون الهتكم
بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه
تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي
ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم تكن مفسدة
وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت
لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر
دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون ان اتاكم
عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف
ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن
المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا
بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه اخر من الحكمة
ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء
لعلهم يتضرعون الباساء والضراء البؤس والضر وقيل الباساء
القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى
ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون
ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا
اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك
التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم

Copyright ... University